إشارات علم الأصول

في فاتحة الكتاب الذي أنزل على

الرسول

تأليف

عادل بن شعيب شلّار الرفاعي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (آمين)

الحمد لله الذي افتتح كتابه الكريم بسورة عظيمة كريمة احتوت إشارات جليلة لجميع العلوم القرآنية ، والصلاة والسلام على النبي الذي أوتي جوامع الكلم فحوى العلوم وختم به الشرائع فحوى أنوار الهداية كلها ، وسلم عليه يا ربنا تسليماً كثيراً كما يليق بجنابه الشريف المعظم ، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد :

فقد تدبرت فاتحة الكتاب الكريم فرأيت فيها إشارات لجميع العلم ، فكتبت كتاباً لطيفاً استخرجت فيه جميع مباحث علم المنطق من آية واحدة في الفاتحة وهي ((الحمد لله رب العالمين))

ثم استخرجت جميع مباحث علم أصول الفقه من فاتحة الكتاب العظيم ، وكتبتها بطريقة مختصرة ، تعرف المبتدئ على مجمل مباحث هذا العلم لكن لا تجعله عالماً بجزيئات هذه المباحث ، وأما العالم بأصول الفقه فانه يستمتع بتلك الإشارات لأنه يعلم جزئياتها ، وتكون له ذكرى تنعش محبته وشوقه لتدبر هذا الكتاب الكريم الذي أنزله الله على النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم .

مقدمة :

ما هو علم أصول الفقه وماذا يشمل ؟

هو معرفة الأدلة والقواعد والأحكام الكلية التي توصل الفقيه للحكم الفقهي .

ويشمل علم اصول الفقه :

1- **الأدلة الكلية** : هي عشرة أدلة ، أربعة أصلية وستة تبعية والأصلية هي القرآن والسنة والإجماع والقياس ، والتبعية ستة هي الاستحسان والمصلحة المرسلة والعرف والاستصحاب وشرع من قبلنا ومذهب الصحابي.
2- **الأحكام الكلية** : وهي ما حكم الله ورسوله على المكلفين من الأحكام التي هي طلب أو منع أو تخيير

كالوجوب والحرمة والإباحة والندب والكراهة ، والصحة والبطلان. والرخصة والسبب والشرط .

3- **القواعد الكلية** : وهي قواعد دلالة النصوص المستمدة من اللغة وقواعد شرعية مستمدة من استقراء الأحكام الشرعية الموجودة في القرآن والسنة:

فالقواعد اللغوية : مثل دلالة الأمر والنهي والعام والخاص وعبارة النص وإشارته واقتضاء اللفظ ومفهوم المخالفة وحالات اللفظ في الوضوح وعدم الوضوح وفي اشتراك معانيه ، وأما القواعد الشرعية : مثل المقاصد الشرعية وحق الله وحق العباد والناسخ والمنسوخ والترجيح عند التعارض

ولنشرع الآن في تبين أشارات علم أصول الفقه الموجودة في سورة الفاتحة :

أولاً – الأدلة الكلية :

1- **دليل الكتاب** : كون جميع الفاتحة قرآناً

2- **دليل السنة** : ((**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ**)) والرسل من الذين انعم الله عليهم كما قال الله في سورة النساء ((**وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**)) وصراطهم هو سننتهم .

3- **دليل الإجماع** : ((**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**)) فقد علمنا الرب

سبحانه وتعالى أن نطلب الهداية باتباع سنة الذين أنعم الله عليه ومن سنن هؤلاء اجتهاداتهم التي اتفقوا عليها فهي من الصراط المستقيم من الهداية .

4- **دليل القياس** : وفيه قياس العكس في ((**الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**)) أي سنن الضالين والمغضوب عليهم ليست من الهداية .

وفيه القياس المستوى ((**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ**)) فقد استوى الأنبياء والعلماء الصالحين في كونهم جميعاً صراطاً مستقيماً وهداية .

5- **دليل شرع من قبلنا** : في قوله : ((**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ**)) فالأنبياء السابقون من الذين أنعم الله وصراطهم يتضمن شرائعهم .

6- دليل الاستحسان :

وفي السورة استحسان حمد الله والثناء عليه وتمجيده دائماً ، واتباع استحسان الذين أنعم الله عليهم من الأنبياء والعلماء الصالحين فما قرروا أنه حسن فهو عند الله حسن .

7- دليل المصالح المرسلة :

هذه السورة الكريمة تلفت الانتباه إلى معنيين رئيسيين هما الضلال والغضب الإلهي ، فهما شرطان من سلم منهما كان اجتهاده على هدى ، لذلك من الاجتهادات العمل بالمصالح المرسلة كلها مالم تؤدي للضلال أو لغضب الرب جل وعلا .

8- دليل العرف :

وما ذكرناه من المعاني في جواز العمل بالمصلحة المرسلة يجري في العرف ، فكل ما تعارف عليه الناس مما يخالف طريقة أهل الضلال والمغضوب عليهم ويتفق مع صراط الذين أنعم الله عليهم ، فهو من الهداية ويجوز العمل به .

9- الاستصحاب :

في قوله ((**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**)) استصحاب الحكم بالهداية على كل من عاش ومات ولم يتلبس بضلال أو بغضب من الله .

10- مذهب الصحابي :

كون الصحابة الذين رباهم الرسول عليه الصلاة والسلام من الذين أنعم الله عليهم فسنتهم وطريقتهم العملية واجتهاداتهم النظرية يصح أن يتبعها طالب الهداية ويعتبرها مذهباً له .

ثانيا – الأحكام الكلية :

أ- أحكام الوضع :

1- السبب :

قوله : ((**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**)) سبب إفراد الله بالعبادة والاستعانة لأنه رب العالمين الذي خلقهم ويرحمهم وهو الحاكم فيهم كما يشاء .

2- الشرط :

((صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ)) يشترط للهداية أن تكون صراط الذين انعم عليهم .

3- المانع :

((صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ)) فيها تحول اليهود والنصارى الى اهل الصراط المستقيم إذا انتفى المانع وهو الضلال والغضب الالهي .

4- الصحة والبطلان :

((**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**)) صحة العبادة والاستعانة بالإخلاص وتفريد الله في القلب واتباع هدي الذين أنعم الله عليهم فان فقدت العبادة شرطاً من هذه الشروط حكم عليها بالبطلان .

5- الرخصة والعزيمة :

قوله : ((**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ**)) فإن الذين انعم الله عليهم كانت أعمالهم عزائم وشرعوا للناي بعض الرخص لذلك يكون الأخذ بالرخص من الهداية للصراط المستقيم .

ب – أحكام التكليف :

6- الواجب :

قوله : ((**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ**)) ومن صراطهم مجموعة من الأوامر أمروا الناس بفعلها فكانت عليهم واجبة كالأمر أن يقولوا : ((**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**))

7- المحرم :

قوله : ((**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ**)) ومن صراطهم مجموعة من النواهي أمروا الناس بتركها ، وكذلك يتضمن الأمر بعدم اتباع المغضوب عليهم والضالين .

8- المندوب :

قوله : ((**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ**)) ومن صراطهم أقوالهم وأعمالهم التي ندبوا إلى العمل بها كقراءة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه سورة الفاتحة في كل صلاة ، فمن المجتهدين الذين انعم الله عليهم من جعل قراءة الفاتحة فرضاً ومنهم من جعلها سنة .

9- المكروه :

قوله : ((**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ**)) ومن صراطهم كراهتهم لأقوال وأعمال .

10- المباح :

قوله: ((**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**)) فما كان من أعمال وأقوال الذين أنعم الله عليه وليس فيه أمر ولا نهي ، وليس متعلقاً به وصف الضلال والغضب فهو مباح، فعله جائز وتركه جائز .

ثالثاً – القواعد الكلية :

وهي القواعد اللغوية ، والقواعد الشرعية

القسم الأول : القواعد اللغوية

1– قاعدة الأمر والنهي :

الباء في بسم يتعلق باسم ويتعلق بفعل ومن الأفعال التي يتعلق بها الجار والمجرور الفعل إقرأ بسم الله وهذا فعل أمر ، وفعل الأمر يدل على حكم الوجوب

سجية ولا يصرف إلى غيره إلا بقرينة فهنا يجب القراءة باسم الله لعدم وجود قرينة تصرف الفعل المقدر (إقرأ) للندب أو الإباحة أو لمقصود آخر .

وفي الآية (**اهدنا**) خرج معنى الأمر إلى غير الوجوب والندب إلى معنى الدعاء والرجاء

ولا نلاحظ في السورة نهياً صريحاً إنما يوجد نهي ضمني يستفاد من قوله ((**إياك نعبد وإياك نستعين**)) يفيد النهي عن عبادة غيره والاستعانة القلبية بغير سبحانه وتعالى ، وفي قوله تعالى : ((**غير المغضوب عليهم ولا الضالين**)) ينطوي على نهي ضمني عن طلب وتتبع طريق الضالين والمغضوب عليهم .

2- قاعدة العام والخاص والمطلق والمقيد :

العموم في لفظ (**الحمد**) (**العالمين**) (**الذين أنعمت**) فمن أدلة العموم (**أل**) الاستغراقية كما في الحمد فقد استغرقت وشملت جميع ما يطلق عليه أنه حمد ، و(**أل**) الجنس كما في (**العالمين**) فربوبية الله تشمل جميع العوالم ، ومن أدلة العموم الجمع مثل (**العالمين**) أي جميع العوالم (**نعبد – نستعين – اهدنا**) يعني جميعنا (**عليهم**) أي أنعمت على جميعهم (**المغضوب عليهم ولا الضالين**) أي جميع المغضوب عليهم وجميع الضالين ، ومن أدلة العموم اسم الموصول (**الذين أنعمت عليه**) أي جميع المنعم عليهم .

وفي أسلوب القصر تخصيص كقوله ((**إياك نعبد وإياك نستعين**)) فقد تخصصت العبادة بأنها عبادة

رب العالمين دون غيره والاستعانة الحقيقية القلبية تكون بالرحمن الرحيم دون غيره .

وفي قوله تعالى ((**إياك نعبد**)) عموم وإطلاق ، فمطلق أي عبادة كلها تكون لله ، وجميع ما يطلق عليه اسم عبادة تكون خاصة بالله

وفي قوله ((**صراط الذين أنعمت عليهم**)) تقييد للصراط المستقيم بأنه طريق المنعم عليهم من الأنبياء والعلماء الصالحين الذين رضي الله عنهم ولم يضلوا .

وفي قوله تعالى : ((**مالك يوم الدين**)) قاعدة جزئية وهي ذكر الخاص أو المقيد وإرادة العموم أو المطلق ، فإنه وصف نفسه ((**مالك يوم الدين**)) فذكر صفة الملكية وأراد جميع ما يرتبط بها من المعاني ككمال

التصرف والحكم بما شاء ، و ذكر يوم الدين وأراد مطلق الأزمنة .

وفي قوله ((**المغضوب عليهم ولا الضالين**)) عام يقصد به كل مغضوب عليه وكل ضال ، لكن المراد هنا الخصوص وهم اليهود والنصارى .

3- قاعدة الحقيقة والمجاز :

ففي قوله تعالى : ((**رب العالمين**)) فالحقيقة في معنى الرب : هو السيد والمربي والمالك ، والمقصود هنا معاني زائدة على المعنى الحقيقي هو الخالق البارئ ، لذلك فالله هو رب الأرباب لأنه لا يوجد سيد مالك هو خالق لعبيده سوى الله تعالى ، وهذه الزيادة المرادة هي من المجاز المرسل .

وكذلك لفظ (**العالمين**) عند بعض أهل اللغة فإنهم جعلوا العالمين جمع عالم وهو يطلق فقط على العقلاء ، والمراد به هنا في الآية العقلاء وغيرهم من الحيوان والجماد وسائر المخلوقات ، وعلى هذا ذكره للعقلاء وإرادته مطلق الخلائق يعتبر من المجاز المرسل ، ذكر البعض وأراد كل ما يمكن أن يصلح له .

وقوم من أهل اللغة قالوا : العالمين تطلق على جميع المخلوقات على الحقيقة وليست فقط على العقلاء لقول سيدنا موسى عليه السلام لفرعون عندنا قال له فرعون ((وما رب العالمين)) قال الله في سورة الشعراء ((**قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ * قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا**

تَسْتَمِعُونَ * قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ))

وفي قوله تعالى ((**مالك يوم الدين**)) مجاز مرسل في لفظة مالك ، فإن لفظ الملكية على الحقيقة لا يتضمن مطلق الحكم والقضاء والحساب ، فالله ذكر جزءً من المعاني وهو الملكية وأراد مطلق ما يرتبط بها ويشابهها من كمال التصرفات على سبيل المجاز المرسل .

وفي قوله تعالى ((**الصراط المستقيم**)) فالصراط على الحقيقة هو الطريق ، وأراد الله به الإسلام الذي اتبعه الذين أنعم عليهم ، فشبه تعاليم الإسلام بالطريق المعبد المستقيم الذي لا عقبات فيه ولا اعوجاج وهذا

مجاز تمثيلي لأنه أراد غير حقيقة اللفظ عن طريق تشبيه المعنى المراد الذي هو الإسلام بصورة الطريق المستقيم الواسع .

4- قاعدة المفهوم :

مفهوم الموافقة : في قوله تعالى : ((**الحمد لله رب العالمين**)) يفهم منه ندب التحميد على من يتأتى منه الثناء فالحمد لك يا ربنا الحميد ، ويفهم من (**الرحمن الرحيم**) استحباب طلب رحمته وأن يرحم الناس بعضهم بعضاً .

ويفهم من (**مالك يوم الدين**) أنه تعالى هو الحاكم المتصرف كما يشاء ، كما يفهم أنه مالك الدنيا أيضاً لأنه إذا كان مالكاً لليوم الآخر وهو أعظم وأطول فهو مالك للدنيا من باب أولى .

ويفهم من (**إياك نعبد وإياك نستعين**) استحباب الاعتراف بالعبودية لله .

ويفهم من (**اهدنا الصراط المستقيم**) التعاون على طلب الهداية واستحباب الاجتماع على ذلك .

ويفهم من (**غير المغضوب عليهم**) أن طالب غير صراط الذين أنعم الله عليهم يستحق غضب والوصف بالضلال

مفهوم المخالفة : يفهم من (مالك يوم الدين) أن غير الله لا ملكية له ولا حكم ولا قضاء يوم القيامة .

ويفهم من (**إياك نعبد وإياك نستعين**) أن غير الله لا يستحق توجيه العبادة له ولا الاستعانة .

ويفهم من (**صراط الذين أنعمت عليهم**) أن صراط غيرهم ليس صراطاً مستقيماً ولا يجوز طلبه ولا اتباعه.

5- قاعدة طرق دلالة النص:

وهي أربعة (**عبارة النص وإشارته ودلالته ومقتضاه**)

أ- عبارة النص :

وعبارة النص هو ما يتبادر فهمه من السياق فالمعنى المتبادر من سياق قوله تعالى : ((الحمد لله رب العالمين)) أن المدح والثناء ثابت ومستحق لله الذي هو خالق العوالم ومالكها ومدبر أمورها بعنايته ورعايته .

ب- دلالة النص :

هو المعنى الذي يفهم من روح النص ومعقوله فقوله تعالى : ((**مالك يوم الدين**)) يدل على أنه مالك الدنيا من باب أولى ، وأنه المتصرف فيها كما شاء .

ت- إشارة النص :

وهو معنى لا يتبادر فهمه من سياق النص إنما يفهم من لوازم النص ، فقوله تعالى: ((**الحمد لله رب العالمين**)) يلزم منه أن يكون الله حامداً لنفسه ، وأن يكون متكلماً ، وأن يكون من خلقه قوم حمّادين له وأن يشرفهم ، وأن يخلق أمورا نافعة ويرفع عن الخلق المضرة ويبذل العطاء حتى يحمد ... وغير ذلك من اللوازم الكثيرة ، ومثل قوله تعالى ((**إياك نعبد وإياك نستعين**)) فلا بد من وجود شرائع وعبادات ولا بد من وجود وسائل خلقها الله يستعملها العابدون .

ث– اقتضاء النص :

اقتضاء النص هو المعنى الذي لا يصح الكلام ولا يستقيم إلا بتقديره ، مثل قوله تعالى : ((**وإياك نستعين**)) فلا يصح معنى الاستعانة بالله إلا على وجه طلب المعونة منه ، واستعمال الوسائل التي يخلقها الله للعبد لذلك لابد من تقدير اقتضاء في العبارة (**إياك**) أي بالطلب منك ومنحنا القدرة على استعمال الوسائل التي خلقتها .

6– قاعدة واضح الدلالة :

واضح الدلالة : هو ما فهم المراد منه من لفظه ولم يفتقر في بيانه إلى غيره وهو أربعة أنواع (المحكم والمفسر والنص والظاهر)

المحكم :

هو ما لا يحتمل غير معناه ولا يقبل التأويل ولا النسخ مثل قوله تعالى: ((**الحمد لله رب العالمين**)) فهو لا يحتمل غير معنى أن الرب خالق ومالك ومدبر شؤون العوالم .

المفسر :

هو ما لا يحتمل غير معناه ولا يقبل التأويل لكن يقبل النسخ ، مثل قوله تعالى : ((**اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين**)) فإنه فسر الصراط المستقيم بأنه منهج الذين أنعم الله عليه الذين لم يضلوا ولم يصيبهم غضب من ربهم ، وقد فسرهم آية أخرى بقوله : ((**وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ**

أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا)) وهو يقبل النسخ ومن النسخ الذي جرى في آية ((**أنعمت عليهم**)) أنها تشمل منهج جميع الأنبياء وشرائعهم لكن الله نسخ شرائع الأنبياء السابقين بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم فلا يجوز تطبيق شرائعهم إلا فيما وافق شريعة محمد النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم .

النص :

هو الذي لا يحتمل غير معناه ويقبل التأويل عند معارضة المحكم ويقبل النسخ في عهد الرسالة فقوله تعالى ((**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**)) نص في قصر العبادة لله جل وعلا فلا يحتمل إلا هذا المعنى ولكن يقبل النسخ في عهد الرسالة فالنبي صلى الله عليه وسلم له الصلاحية بنسخ بعض العبادات وتبديلها أو نسخ أجزاء منها .

الظاهر :

وهو ما يحتمل أكثر من معنى ، والمعنى الذي يسبق إلى الذهن هو الظاهر ويعمل به بشرط أن لا يكون المعنى المفهوم معارضاً لنص ، وهو يقبل التأويل والتفسير والنسخ في عهد الرسالة ، فقوله تعالى : ((**رب العالمين**)) نص أن الله هو رب العالمين ، وظاهر في لفظ العالمين فيحتمل أن يكون المعنى من لفظ (**العالمين**) جميع المخلوقات ويحتمل أن يكون المخلوقات العاقلة لذلك لفظ العالمين (**ظاهر**) يتطلب منا ترجيح أحد المعاني ، وهنا نرجح معنى أنه رب المخلوقات كلها لأن هذا المعنى يفهم من السياق .

وكذلك لفظ ((**مالك يوم الدين**)) فلفظ مالك لفظ ظاهره يحتمل الملكية الكاملة والملكية المقيدة ، ونرجح الملكية

الكاملة المطلقة لأن الملكية المطلقة من الصفات الواجب لمن يكون رباً للعالمين .

ولفظ (**المغضوب عليهم**) ولفظ (**الضالين**) يحتمل أن يكون المراد كل مغضوب عليه وكل ضال من جميع المكلفين ، ويحتمل فقط اليهود والنصارى .

وهو يقبل التفسير والتأويل والنسخ في عهد الرسالة ، ومن التفسير ما جاء في الحديث الذي رواه ابن حبان عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((الْمَغْضُوبُ عَلَيْهِمُ: الْيَهُودُ، وَالضَّالُّونَ: النَّصَارَى)) فقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم وبين من هم المغضوب عليهم ومن هم الضالون وهو قابل للنسخ في عهد الرسالة لو أن اليهود والنصارى آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم لنسخ حكم الضلال والغضب في حقهم .

7- قاعدة غير واضح الدلالة

هو ما يتوقف فهم المراد منه على أمر خارجي وهو أنواع: (الخفي والمشكل والمجمل والمتشابه والمشترك)

- **الخفي** : هو ما كان معناه ظاهراً لكن في انطباق معناه على بعض الأفراد غموض وخفاء ونحتاج للتأمل والبحث لإزالة الخفاء فقوله: ((**رب العالمين**)) فلفظ العالمين فيه خفاء هل يطلق على جميع المخلوقات أم على الأفراد العاقلة فقط ، ويزول الخفاء بالتأمل ، كقوله تعالى ((**أمم أمثالكم**)) فكون الحيوانات أمماً لها نظام يشبه أنظمة العقلاء فهذا يرجح كونها عالماً من العوالم وإنها من ضمن أفراد العالمين ، وان الله كما هو رب العقلاء فهو رب كل شيء ومليكه .

- **المشكل** : هو ما كان الخفاء في صيغته ويحتاج إلى قرينة خارجية تبين المراد منه .

استشكل لفظ الجلالة (**الله**) هل هو مشتق أم مرتجل ، فرأى بعض العلماء أنه لفظ مرتجل لم يشتق من لفظ آخر ، ورأى آخرون أنه مشتق من لفظ آخر لكن اختلفوا في تحديد اللفظ الذي اشتق منه لفظ الجلالة ، فقال بعضهم : مشتق من (**أَلِهَ**) بمعني عبد ، فهو إله : أي معبود ، وقال بعضهم مشتق من (**وَلِهَ**) بمعني تحير لأن العقول تنتهي إلى الحيرة في معرفة ذاته وصفاته ، وقال بعضهم : مشتق من (**لاهَ**) يليهُ إذا استتر وذلك لاحتجابه عن الأبصار .

وقال بعضهم مشتق من جميع ذلك لأنه المعبود الذي استتر عن الأبصار وحير البصائر وأدهش العقول .

- **المجمل** : هو ما يفتقر لبيان المراد منه من صاحبه ، فقوله تعالى : ((**إياك نعبد وإياك نستعين**)) فإن معرفة العبادات وبيانها متوقف على المشرع . وقوله ((**مالك يوم الدين**)) فيوم الدين مجمل يحتاج لبيان وقد جاء بيان أموره في القرآن والسنة وما فيه من الحشر والحساب والوزن والصراط والجنة والنار والشفاعات .

- **المتشابه** : هو ما لا سبيل إلى معرفة حقيقته فقوله تعالى : ((**الرحمن الرحيم**)) فإن صفة الرحمة القائمة بذات الله من المتشابه لا سبيل لمعرفة

حقيقتها ، لأن معناها اللغوي لا يليق بالله فمعناه الحقيقي رقة في الطبع ، لذلك يتم تأويلها بذكر لوازمها كتعريف الرحمة بأنه إرادة إيصال الخير ودفع المضرة .

- **المشترك** : وهو اللفظ الذي يكون له معنيان أو أكثر ، قوله تعالى ((**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**)) فإن لفظ الرب يطلق على عدة معاني فهو يطلق على الخالق وعلى المالك وعلى المربي وعلى صاحب السلطان.

القسم الثاني : القواعد الشرعية :

- **قاعدة المقاصد الشرعية :**

المقاصد الشرعية : هي ما قصده الشارع في وضع الشريعة ، وهذه المقاصد ثلاثة أقسام (**ضرورية وحاجية وتحسينية**) :

فالمقاصد الضرورية : وهي ما بد منه لقيام مصالح الدين والدنيا وهذه الضرورات هي (**حفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال**)

ففي قوله تعالى : ((**إياك نعبد وإياك نستعين** * **اهدنا الصراط المستقيم**)) إشارة ضرورة الدين ، وقوله تعالى ((**صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليه ولا الضالين**)) إشارة إلى جميع الضرورات لأن أحكام حفظ الدين والحياة والعقل والعرض والمال كلها ضمن المنهج والشريعة التي عمل بها الذين أنعم الله عليهم .

وفي قوله : ((**غير المغضوب عليهم ولا الضالين**)) إشارة إلى أن هذه المقاصد ضرورية لأنه إن لم تكن ضرورية ، لما استحق أن يكون عقاب المستنكف عن الأخذ بها الضلال والغضب .

والمقاصد الحاجية : وهي ما شرعه الله لرفع والحرج وتخفيف المشقة ، ونجد الإشارة لهذا المقصد في قوله تعالى ((**الرحمن الرحيم**)) وقوله تعالى ((**أنعمت عليهم**)) لأن رفع الحرج وتخفيف المشقات تابعة لمعنى الرحمة والإنعام فمن رحمة الرحمن الرحيم بنا التيسير وتخفيف المشقة ورفع الحرج ، ومن تمام إنعامه الرخصة وإسقاط بعض التكليفات مع إعطاء الأجر كاملاً .

والمقاصد التحسينية :

وهي ما قصد منه الله ورسوله أليق الأمور والعادات ، ففي قوله تعالى : ((**الحمد لله رب العالمين**)) قصد الله منها تحلي عباده بزينة الإقرار له بالربوبية وتزيين ألسنتهم بدوام الثناء له .

وفي قوله تعالى ((**الرحمن الرحيم**)) يقصد الله تزيين الإنسان طباعه بزينة الرحمة فتجد المؤمن يتخذ جانب العفو والإحسان في أفعاله وأقواله.

وفي قوله : ((**مالك يوم الدين**)) تجعل العبد يتقرب إلى ربه بنوافل العبادات والصدقات وخدمة الناس دون أن يفرض الله عليه ذلك .

وفي قوله : ((**اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم**)) ففي اتباع طريق المنعم عليهم

والاقتداء بهديهم العمل بما فعلوه وقالوه من أليق الأمور ومحاسن العادات وجميل الخصال .

- **قاعدة حق الله وحق العبد :**

ففي قوله تعالى ((**الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين * إياك نعبد وإياك نستعين**)) إشارة إلى حق الله تعالى بالثناء له بالتحميد والتقديس والتمجيد والإقرار بربوبيته ، والقيام بحال الخضوع والذل له وإفراده بالعبادة والاستعانة القلبية ، والطلب منه .

وفي قوله تعالى : ((**اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين**)) إشارة إلى حق عباده الذين أنعم الله عليهم

على بقية العباد باتباع طريقهم ومنهجهم الذي يحتوي ما هو حق الرب الخالص لله وما هو الحق الخالص للعبد ، وما هو الحق الذي اجتمع فيه حق الله ومع حق العبد وحق الله غالب ، وما اجتمع فيه الحقان وحق العبد غالب .

- **قاعدة الاجتهاد** :

وهذه القاعدة هي (**لا مساغ للاجتهاد في ورود النص القطعي**)

ففي قوله تعالى : ((**صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين**)) تصريح

باتباع منهج الذين أنعم الله عليهم بما فيه من اجتهاداتهم ويتضمن مدح لاجتهاداتهم ، في مقابل ذم طريق ومنهج الضالين والمغضوب عليهم وعدم اتباع اجتهاداتهم ، وذلك لأن الضالين كانوا يتركون النصوص القطعية ويجتهدون من خلال النصوص الظنية بما لا يتوافق مع القطعية ، أما المغضوب عليهم فكانوا يجتهدون ليخالفوا النصوص عمداً بعدما جاءهم العلم وعرفوا المعاني .

- **قاعدة النسخ :**

في قوله تعالى: ((**غير المغضوب عليهم ولا الضالين**)) إشارة إلى نسخ شرائعهم ، فإننا لما منعنا من اتباع طريقهم لما تضمن منهجهم من اجتهادات خاطئة

وضلال ومخالفات شنيعة ، وتحريف لما جاء به المنعم عليه من الأنبياء السابقين ، دلنا على أن نأخذ الشريعة الصافية من النبي الخاتم عليه الصلاة والسلام والذين اتبعوه الذين وصفهم ربهم بالمنعم عليهم .

ففي هذه الآية إشارة مجملة ، ثم فصلت في آيات الكتاب ، فبين الكتاب جملة من الشرائع السابقة ونسخها بشرائع جديدة مثلها أو خير منها.

- **قاعدة التعارض والترجيح :**

في قوله تعالى: ((**غير المغضوب عليهم ولا الضالين**)) إشارة إلى ترجيح منهج الذين أنعم الله عليهم على ما سواه من المناهج ، وإلى ترجيح هذه الأمة التابعة

للنبي الخاتم عليه الصلاة والسلام على الأمم السابقة بما نصحوا واتبعوا ولم يضلوا ويعاندوا ربهم فيغضب عليهم .

وفي ((**اهدنا الصراط المستقيم**)) إشارة إلى ترجيح العبادة الجماعية على الفردية ، لذلك قال (**اهدنا**) ولم يقل اهدني ، لذلك نجد في سنة النبي الذي أنعم الله عليه أن صلاة الجماعة تفضل صلاة المفرد بسبع وعشرين درجة .

تمت هذه الخلاصة والحمد لله

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله

وصحبه وسلم

اللهم تقبلها مني واجعلها نوراً يهتدي بها طلاب العلم واعرضها بفضلك وزينة كرمك على حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم يفرح بما فيها من الخير ويستغفر لي ما أخطأت فيها وأسأت

اللهم اغفر لنا وارحمنا واجعلنا هداة مهتدين وارزقنا رؤية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في الدنيا وشفاعته والأمن من هول المحشر ومن عذاب النار آمين يا رب العالمين